فكرة جميلة



يعود جزء من ريع
هذا الكتاب إلى
جمعية تمنّى

تأليف: الدكتورة سناء علي الحركه
رسم: ميشال ستاندجوفسكي

«تَمنّى» هي جمعيّة خيريّة تُحقِّق أحلام الأطفال الّذين يُعانون أمراضًا خَطِرة لإعطائهم القوّة، الأمل والفرح. من خلال تَحقيق حلمهم يعيش الأطفال تَجربة سحريّة تُمكّنهم من الابتعاد عن واقع حزين يَعيشونه يوميًّا مع مرضهم.

تُحقِق «تَمنّى» أمنيات الأطفال الّذين تُراوح أعمارهم بين ثلاث سنوات وثَماني عشرة سنة، والّذين يُعانون أمراضًا خَطِرة، ويتلقّون علاجهم في لبنان. تَخدم الجمعيّة كلّ الأطفال من دون تَمييز دينيّ أو اجتماعيّ أو ثقافيّ.

السّؤال الّذي نطرحه على الطّفل هو: «إذا كان لديك أمنية واحدة فما هي؟».
تَختلف الأمنيات من امتلاك شيء ما كالحاسوب أو الألعاب الإلكترونيّة، إلى مقابلة شخصيّات معروفة، إلى السّفر إلى مكان يَحلم به الطّفل. تَحقيق الحلم يُعطي الطّفل القوّة لمقاومة المرض والأمل في أوقات صعبة للغاية.

تأسّست «تَمنّى» في شهر كانون الثّاني من سنة ٢٠٠٥ بعلم وخبر ٦٩ / أد، وتُحقّق الجمعيّة حاليًّا ما يُعادل ثلاث أمنيات في الأسبوع . لقد حقّقت «تَمنّى» ٦٠٠ أمنية حتّى اليوم.

««تَمنّى» تُحوّل دموع الحزن إلى دموع فرح».

لمزيد من المعلومات، الرّجاء زيارة موقع «تمنّى»
www.tamannalebanon.org
أو الاتصال على الرّقم: ٩٩٨٩٩٥ - ٠١

tamanna
turning tears into laughter

ISBN 614-402-349-5
9 786144 023495
Book # A 560
أصالة
للنشر والتوزيع

إلى "علي" الصّغير أكتب لأقول:
"اشتقت إليك"
الإهداء: إلى حسن وهادي
على أن تنظرا إلى الحياة بقلبيكما
حيث "علي" الصّغير يُقيم ويكبر
لتتابعا مشوار الحياة.

دار النهضة العربية
أصالة للنشر والتوزيع – طبعة أولى 2010
ISBN: 978-614-402-349-5
تلفون: 093 736 1 961+
فاكس: 071 736 1 961+
ص.ب.: 11/3434
الزيدانية، بناية كريدية – بيروت، لبنان
infos@asala-publishers.com

فكرة جميلة



تأليف: الدكتورة سناء علي الحركه
رسم: ميشال ستاندجوفسكي

«أُمّي ... مُعَلِّمَةُ اللّغَةِ قالَتْ إنّي ضَعيفٌ في التَّعْبيرِ عَنْ أَفْكاري شَفَهِيًّا وكتابيًّا».

لا أَنْسى يَوْمَها تِلْكَ النَّظْرَةَ الّتي رَأَيْتُها في عَيْنَيْ أُمّي.
كانَتْ نَظَراتُها حَزينَةً وغاضِبَةً في الوَقْتِ نَفْسِهِ.
كانَتْ كأنَّها تُريدُ أَنْ تَبكي، لكنَّها قاوَمَتْ دُموعَها.
كانَتْ كأنَّها تُريدُ أَنْ تَصْرُخَ، ولكنَّها كَتَمَتْ صَوْتَها. اسْتَدارَتْ كأنَّها لَمْ تَسْمَعْ ما قُلْتُ، مع أنَّها سَمِعَتْ، وحَزِنَتْ كثيرًا.

«أُمّي»، قُلْتُ بِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ: «مُعَلِّمَةُ اللّغَةِ قالَتْ»، وإذا بها تَسْتَديرُ نَحْوي بِحَنانِ الأُمِّ وعَطْفِها وتُكمِلُ: «إنَّكَ لَسْتَ قَوِيًّا بِما يَكْفي للتَّعْبيرِ عَنْ أَفْكارِكَ شَفَهِيًّا وكِتابيًّا. هذا تَمامًا ما قالَتْهُ المعَلِّمَةُ، أَلَيْسَ كذلكَ يا «آدم»»؟
لَسْتُ أَدْري لِما رُحْتُ أَبْكي. كانَتْ دُموعي تَسيلُ، وعَبَثًا حاوَلَتْ أُمّي أَنْ تُلَمْلِمَها بِصَمْتٍ. لَمْ تَقُلْ شَيْئًا . تَرَكَتْني أَبْكي وأَبْكي وأَبْكي حَتّى تَوَرَّمَتْ عَيْناي. بَعْدَها مَشَتْ بي إلى غُرْفَتي، وأَجْلَسَتْني قُرْبَها كَما كانَتْ تَفْعَلُ لِنَتَشارَكَ معًا في قِراءَةِ القِصَصِ. لامَسَتْ خَدّي بِرِقَّةِ الأُمِّ وطيبَتِها، وقالَتْ لي: «آدم أَنْتَ طِفْلٌ قادِرٌ على العَطاءِ، ولكنَّكَ لا تَبْذُلُ جُهْدًا. اِبْحَثْ في نَفْسِكَ عَنْ فِكْرَةٍ، عِنْدَها فَقَطْ يُمْكِنُكَ أَنْ تعبِّرَ بِوُضوحٍ».



عَلَيْكَ أَنْ تَقولَ لِنَفْسِكَ: «عِنْدي فِكْرَةٌ جَميلَةٌ، وسَأُعَبِّرُ عَنْها بِطَريقَةٍ صَحيحَةٍ. عِدْني يا «آدم» أَنْ تُحاوِلَ بِصِدْقٍ».

غَمَرْتُ أُمّي، وعادَتْ دُموعي تَنْهَمِرُ إلى أَنْ غَلَبَني النَّوم.



أَفَقْتُ في اليَوْمِ التّالي، فإذا أُمّي بِقُرْبي، أَمْضَتْ لَيْلَها ساهِرَةً، أَوْ هَكَذا خُيِّلَ إلَيَّ، فَقُلْتُ لَها:

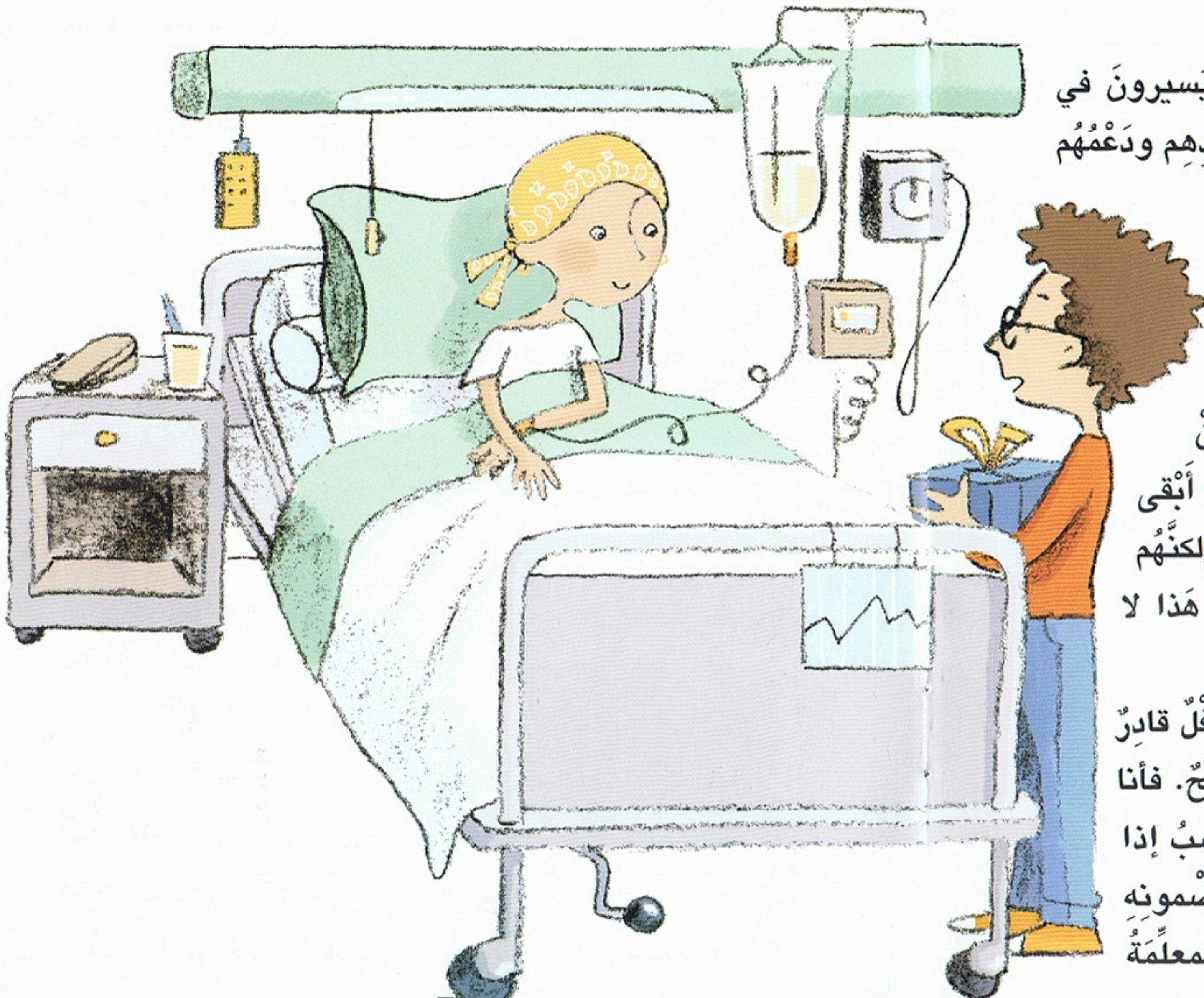
– صباح الخيرِ يا أُمّي.

– صباح الخيرِ يا «آدم». اِسْمَعْ، عِنْدي فِكْرَةٌ جَميلَةٌ، وسَأُعَبِّرُ عَنْها بِطَريقَةٍ صَحيحَةٍ.

ابْتَسَمْتُ، ولكنَّها تَجاهَلَتِ ابْتِسامَتي، وتابَعَتْ:

– ما رأيُكَ لو نَقصِدُ مَتْجَرَ الأَلْعابِ، ونَشْتَري الكثيرَ مِنْها، ونَحْمِلُها إلى مَرْكَزِ سَرَطانِ الأَطْفالِ. إنَّهُ مَرْكَزٌ طِبِّيٌّ مُتَخَصِّصٌ بِمُعالَجَةِ الأَطْفالِ المصابينَ بهذا المرَضِ. فِكْرَةٌ جَميلَةٌ، أَلَيْسَ كذلكَ؟ أَظُنُّ أَنَّ مَشاعِرَنا الصّادِقَةَ سَتَصِلُ إلى الأَطْفالِ المرْضى بِطَريقَةٍ صَحيحَةٍ.

في مرْكَزِ سَرَطانِ الأَطفالِ رَأَيْتُ «علي» الصَّغير. هُوَ طِفْلٌ مُصابٌ بِسَرَطانِ الدَّمِ. قالَ لي إنَّ والِدَهُ أَخْبَرَهُ بأَنَّهُ لا يَعْرِفُ لِماذا هُوَ مُصابٌ بِهَذا المرَضِ. كُلُّ ما يَعْرِفُهُ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُقاوِمَ ويَصْبِرَ. بَدا «علي» الصَّغير كَبَطَلٍ مِنَ الأَبْطالِ الَّذينَ أُشاهِدُهُم في الأَفْلامِ، ولكنَّهُ بَطَلٌ يُقاوِمُ الموْتَ.



هُناكَ، رَأَيْتُ صَديقَةَ «علي». إنَّها «ميرا» الجميلة. طِفْلَةٌ مُصابَةٌ بسَرَطانِ الدِّماغ. قالَتْ لي «ميرا» إنَّها تَتألَّمُ كثيرًا، وتَشْكو قَليلاً لأنَّها لا تُريدُ أَنْ تَزيدَ منْ حُزْنِ أُمِّها وأبيها. بَدَتْ «ميرا» الجميلة كَحوريَّةٍ تَبْحَثُ في أَعْماقِ البِحارِ عَنْ صَدَفَةٍ تُخَبِّئُ لَها عُمْرًا لِتَعيشَهُ طويلاً.

ورَأَيْتُ أَيْضًا أُمَّهاتِ الأطفالِ وآباءَهُم يَسيرونَ في اتِّجاهاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، والهدَفُ واحِدٌ: مُسانَدَةُ أَوْلادِهِم ودَعْمُهُم في رِحْلَةِ المرَضِ للخروجِ من النَّفَقِ المظْلِمِ باتِّجاهِ الحياةِ.

في طريقِ العَوْدَةِ إلى البَيْتِ كُنْتُ صامِتًا حَزينًا كما لَمْ أَحْزَنْ يومًا. تَرَكَتْني أُمّي لِصَمْتي وحُزْني. عِنْدَما وَصَلْنا إلى البَيْتِ لَمْ تكُنْ لي رَغْبَةٌ في تَناوُلِ طَعامٍ أو شَراب. أَرَدْتُ أَنْ أَبْقى وَحيدًا لأَسْتَعيدَ صُوَرَ أولادٍ في مِثْلِ عُمْري، ولكنَّهُم لا يَعيشونَ مِثْلي. مُشْكلاتُهُم أَكْبَرُ مِنْهُم، ومَع هَذا لا يَشْكون. أَمْراضُهُم خَطِرَةٌ، ومَع هذا يُقاومون.

وتَذَكَّرْتُ ما قالَتْهُ أُمّي بالأَمْسِ: «أَنْتَ طِفْلٌ قادِرٌ على العَطاءِ، ولكنَّكَ لا تَبْذُلُ جُهْدًا». هَذا صَحيحٌ. فأنا أَبْكي إذا عَجَزْتُ عَنْ حَلِّ مَسْأَلَةٍ حِسابيَّةٍ. وأَغْضَبُ إذا قَرَأْتُ نَصًّا ولَمْ أُحْسِنِ الإجابَةَ عَن أَسْئِلَةِ مَضْمونِهِ المُباشِرَةِ أو غَيْرِ المُباشِرَة. وَأَحْزَنُ إذا قيَّمَتِ المعلِّمَةُ



قُدْرَتي على التَّعْبيرِ بالضَّعيفَةِ. وأَثورُ إذا ارْتَفَعَتْ حَرارَتي ومَنَعَتْني أُمّي مِنَ اللَّعِبِ واللَّهو. وأَعْتَبِرُها نِهايَةَ العالَمِ إذا أَرَدْتُ شِراءَ لُعْبَةٍ ورَفَضَتْ أُمّي. وأَكْرَهُ نَفْسي إذا خَسِرْتُ في مُباراةِ كُرَةِ السَّلَّةِ، إذْ لِسَبَبٍ أَجْهَلُهُ، أَعْتَقِدُ أَنَّني يَجِبُ أَنْ أَفوزَ دائِمًا.

كانَتْ أُمّي تُراقِبُ صَمْتي، وتَشْعُرُ بِحُزْني، لكنَّها تَرَكَتْني وَحْدي أُواجِهُ نَفْسي. كانَتْ كأَنَّها تَنْتَظِرُ أَنْ أَبْدَأَ أنا بالكَلامِ. فَما إنْ دَخَلْتُ غُرْفَتَها، ونَظَرْتُ إِلَيْها نَظْرَةً فيها سؤالٌ واحِدٌ: «لماذا أَخَذْتِني إلى مَرْكَزِ سَرَطانِ الأَطْفالِ؟»، حتّى أَجابَتْ قَبْلَ أَنْ أَسْأَلَ: «لا يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ كَما تُريدُ إلّا بعدما تَرى كُلَّ ما يَدورُ حَوْلَكَ. يَجِبُ أَنْ تَرى كَيْ تُفَكِّرَ، ويَجِبُ أَنْ تَشْعُرَ كَيْ تُعبِّرَ. لا يَكْفي يا «آدم» أَنْ تَرى بِعَيْنَيْكَ، يَجِبُ أَنْ تَرى بِقَلْبِكَ، عِنْدَها فَقَطْ سَتَجِدُ فِكْرَةً جَميلَةً، وسَتُعبِّرُ عَنْها بطَريقَةٍ صَحيحَةٍ».

لَمْ يَكُنْ سَهْلاً عَلَيَّ أَنْ أَفْهَمَ كَلِماتِها، ولكنَّني أَحْسَسْتُ بِدِفْءِ تِلْكَ الكَلِماتِ وصِدْقِها، فَحَفِظْتُها ورُحْتُ أُرَدِّدُها كَيْ لا أَنْساها.

شَعَرْتُ وأنا عائِدٌ إلى المدرَسَةِ بَعْدَ عُطْلَةِ نِهايَةِ الأُسبوعِ أَنّي غَيْرُ ذَلكَ الوَلَدِ الَّذي غادَرَها نِهايَةَ الأُسْبوعِ. أَشْياءُ كَثيرَةٌ تَغَيَّرَتْ، لا أَدْري ما هِيَ، ولكنَّها تَغَيَّرَتْ.

وفي ساعَةِ التَّعْبيرِ الشَّفَهِيِّ رُحْتُ أُحَدِّثُ المعَلِّمَةَ والأَصْدِقاءَ عَن مَرْكَزِ سَرَطانِ الأَطْفالِ، وعَنْ أَهْلِهِم الَّذينَ يَنْتَظِرونَ الغَدَ، ويَخافونَهُ في الوَقْتِ نَفْسِهِ. فالعِلاجُ قَدْ يَنْجَحُ وقَدْ يَفْشَلُ. وما على الجميعِ إلّا الانتظار.

أَصْغى الجميعُ إليَّ باهْتِمامٍ كَبيرٍ، وتَأَثُّرٍ بالِغٍ، وأَظْهَروا تَعاطُفًا مَع الأَطْفالِ، وتَفَهُّمًا لِمَشاعِرِ أَهْلِهِم، وقَرَّروا أَنْ يَقْصِدوا المركزَ، ويُساهِمَ كُلٌّ مِنْهُم في نَقْلِ الفرَحِ إلى الأَطْفالِ. كانَ عِنْدَ كُلِّ طِفْلٍ فِكْرَةٌ جَميلَةٌ عَبَّرَ عَنْها بِطريقَةٍ صَحيحَة. قَبْلَ نِهايَةِ الصَّفِّ قالَتْ لي المعلِّمَةُ: «آدم إنّي فَخورَةٌ بِقُدْرَتِكَ عَلى التَّعْبيرِ عَنْ أَفْكارِكَ الجميلَةِ بِشَكْلٍ صَحيحٍ».

عُدْتُ مَسْرورًا إلى البيتِ ومُحْتارًا في الوَقْتِ نَفْسِهِ. كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ أَكونَ ضَعيفًا في التَّعْبيرِ قَبْلَ نِهايَةِ الأُسْبوعِ، وأُحْسِنَهُ مع بِدايَةِ الأُسْبوعِ؟ سَأَلْتُ أُمّي، فَمَشَتْ بي إلى غُرْفَتي، وأَجْلَسَتْني قُرْبَها، وقالَتْ: «لا داعي لأَنْ تَحْتارَ. كُنْتَ بحاجَةٍ إلى حَدَثٍ لِتُعبِّرَ. كُنْتَ بحاجَةٍ إلى مَوْضوعٍ يُثيرُ مَشاعِرَكَ ويَحُثُّ أفكارَكَ لِتُحْسِنَ التَّعبيرَ. كنتَ بِحاجَةٍ لأَنْ تَرى حَقيقَةً، ولَوْ مُؤْلِمَةً، لِتُحوِّلَها إلى فِكْرَةٍ وتُعَبِّرَ عَنْها بطريقَةٍ صَحيحَة. لذلكَ تَرافَقْنا إلى مَرْكَزِ سَرَطانِ الأطفالِ. أَرَدْتُكَ أَنْ تَرى مُشْكِلاتِ غَيْرِكَ الكَبيرةَ لِتَتَأَكَّدَ مِن أَنَّ مُشْكِلَتَكَ صَغيرَةٌ. أَرَدْتُكَ أَنْ تَرى بأَنَّ هُناكَ أَطْفالاً لا يَسْتَطيعونَ أَنْ يَفْعَلوا شَيْئًا لِيَحُلّوا مُشْكِلاتِهِم، وتَعْرِفَ أنَّكَ تَقْدِرُ. أَرَدْتُكَ أَنْ تَحْمَدَ الله على نِعَمِهِ. كُلَّ صَباحٍ قِفْ أَمامَ المِرْآةِ وانْظُرْ إلى نَفْسِكَ وقُلْ: «الحمدُ لله على نِعَمِهِ». وفي المساءِ قِفْ أَمامَ المرآةِ وانظُرْ إلى نَفْسِكَ وقُلْ: «الحمدُ لله على نِعَمِه». وإذا واجَهَتْكَ مُشْكِلَةٌ فَقُلْ: «عِنْدي فِكْرَةٌ جَميلَةٌ وسَأُعبِّرُ عنها بطريقَةٍ صَحيحةٍ»».





اليومَ، وبعدَ مُرورِ سَنَواتٍ طويلة، وفي كُلِّ مَرَّةٍ أُريدُ أنْ أُعبِّرَ فيها عَنْ فِكْرَةٍ، عَنْ شعورٍ، أَتَذَكَّرُ ما علَّمَتْني إيّاهُ أُمّي، وأَخْتارُ تَعْبيرًا إيجابيًّا لإيصالِ رَأْيي. فإذا كُنْتَ ضَعيفًا فَهذا يَعْني أنَّكَ لَسْتَ قَوِيًّا بِما يَكْفي. في كلمَةِ «ضَعيف» إساءَةٌ، أمّا في عِبارَةِ «لَسْتَ قَوِيًّا بِما يَكْفي» فَحَثٌّ على بَذْلِ الجُهْدِ. القُوَّةُ مَوجودَةٌ، ولكنَّها تَحْتاجُ إلى مُضاعَفَةِ الجُهْدِ. فَلِمَ لا نَمُدُّ أَيْدِيَنا إلى مَنْ يَحْتاجُ مُساعَدَةً ونُقَدِّمُ العَوْنَ؟

بَعْدَ مُرورِ سَنَواتٍ، سَنَواتٍ طَويلَةٍ، وفي كُلِّ مَرَّةٍ أَشْعُرُ فيها بِأَنّي عاجِزٌ أو غاضِبٌ أو يائِسٌ أَقصِدُ مَرْكَزَ سَرَطانِ الأطفالِ، حَيْثُ الأطفالُ يُقاوِمونَ لأُنَشِّطَ قُدْرَتي على المقاوَمَةِ، وأُهَدِّئَ غَضَبي، وأُجَدِّدَ أَمَلي، وأَحْمَدَ الله.

شُكْرًا لله لأَنَّهُ أَعْطانا القُدْرَةَ على أَنْ نُفَكِّرَ أَفْكارًا جَميلَةً، ونُعَبِّرَ عَنْها بطريقَةٍ صَحيحَةٍ.

نَسيتُ أَنْ أُخْبِرَكُم أَنَّني طَبيبُ أَطْفالٍ أَعْمَلُ في مَرْكَزِ سَرَطانِ الأَطْفالِ. هَذا المرْكَزُ الَّذي ثابَرْتُ عَلى زِيارَتِه بِرِفْقَةِ أُمّي مع نِهايَةِ كُلِّ أُسْبوعٍ. فَقَدْ كانَتْ مُتَطَوِّعَةً تَعْمَلُ على قِراءَةِ القِصَصِ للأطفالِ المَرْضى، وتَنْقُلُهُم إلى عالَمٍ مِنَ الخيالِ والرُّسومِ والأَلْوانِ. هُناكَ كُنْتُ أَتَعَلَّمُ كَيْفَ أرى بِقَلْبي، وأَقْطِفُ أفكارًا جَميلَةً مِنْ شَجَرَةٍ زَرَعْتُها في باحَةِ حَديقَةِ المرْكَز. شَجرةٌ أَطْلَقْتُ عليها اسمَ «نَجْمَةِ السَّماء» لأَنَّني أَرَدْتُها أَنْ تَكبُرَ وتَكبُرَ وتَصِلَ إلى السَّماءِ لِتَكونَ الصِّلَةَ بين الأَوْلادِ عَلى الأَرْضِ، والأولادِ الَّذين غادَروا إلى السَّماءِ.

زَرَعْتُ الشَّجرةَ عِنْدَما عَلِمْتُ أَنَّ «علي» الصَّغير غادَرَ الأَرْضَ إلى السَّماءِ بَعْدَ صِراعٍ طَويلٍ مِنْ أَجْلِ الحياةِ. وكَمْ كانَ والِدُهُ مَسْرورًا عِنْدَما اصْطَحَبْتُهُ إلى تِلْكَ الشَّجرةِ وقُلْتُ لَهُ: «عِنْدَما تَكبُرُ الشَّجرةُ وتَقْتَرِبُ مِنَ السَّماءِ سَنَتَسَلَّقُها مَعًا، ونَمُدُّ أَيْدِيَنا في الوَقْتِ الَّذي سَيَمُدُّ «علي» فيهِ يَدَيْه وتَتَلاقى الأَيْدي، وسَنَحْكي لَهُ حِكاياتٍ، ونَسْمَعُ مِنْهُ حِكاياتٍ». أَظُنُّ أَنَّها كانَتْ فِكْرَةً جَميلَةً، وقَدْ عَبَّرْتُ عَنْها بِشَكْلٍ صَحيحٍ.

كبُرَتِ الشَّجرةُ. تَتَغيَّرُ الوُجوهُ الَّتي تَقِفُ عِنْدَ جِذْعِها لِتَنْظُرَ إلى الأَعْلى حَيْثُ السَّماءُ والأَوْلادُ الَّذين غادَروا لِيَسْكُنوا السَّماءَ. تَعْبيرٌ واحِدٌ أَسْمَعُهُ كُلَّما مَرَرْتُ مِنْ أَمامِ الشَّجرةِ. شُعورٌ يَصْعَدُ مِنَ الأَسْفَلِ، ويَعودُ صَداهُ مِنَ الأَعْلى:

«اشْتَقْتُ إلَيْكَ».



فكرة جميلة



يعود جزء من ريع
هذا الكتاب إلى
جمعية تمنّى

تأليف: الدكتورة سناء علي الحركه
رسم: ميشال ستاندجوفسكي